# هل تقديس الرّواة أولى من حماية الدّين؟

الدكتور رشيد الصّكلي[1]

## مقدّمة:

أصبحت مسألة مراجعة التراث وتنقيته وضبط عمليّة فهمه، ضرورة ملحّة، في ظلّ تأسّس أيديولوجيّات متطرّفة داخل المجتمع الإسلاميّ؛ مبتنية على أحاديث مدسوسة ومنسوبة زوراً إلى النبيﷺ تارة، أو على سوء فهم وتأويل لأحاديث أخرى واردة عن النبيﷺ تارة أخرى.

ولا يبدو أنّ هذه المهمّة ستكون سهلة؛ في ظلّ وجود جماعة من التقليديّين ما زالوا يضفون قدسيّة غير مبرّرة على رواة الأحاديث والمفسّرين والمجتهدين القدامى!!

وسوف نحاول في هذه المقالة تناول محاور ثلاثة؛ الأوّل: يتعلّق بما يبدو اختلافاً لبعض الأحاديث في ما بينها؛ وهذا لا يمكن استساغته؛ لأنّه لا يمكن أن ينسب للنبيّ ﷺ – وهو الأسوة الحسنة، ولا ينطق عن الهوى؛ إنْ هو إلا وحي يوحى– الشيء ونقيضه، والثاني: يتعلّق بما يبدو مخالفة لبعض الأحاديث مع القرآن ذاته، وهذا –أيضاً– لا يستساغ، لأنّ النبيّ لا يتّبع إلا ما يوحى إليه: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[2]. أمّا المحور الثالث: فيتعلّق بسوء فهم وتأويل بعض الأحاديث.

(1) باحث في الفكر الإسلاميّ، من المغرب.
(2) سورة الأنعام، الآية50.

**أولاً: مشكلة اختلاف بعض الأحاديث في ما بينها:**

إنّ المتناول للتراث الحديثيّ يجد نماذجاً من أحاديث قد تبدو مختلفة في ما بينها، وكلّها تنسب إلى النبيﷺ! ومن هذه النماذج:

- نسب للنبي ﷺ في مسألة كتابة الأحاديث أنّه أمر بعدم كتابة الأحاديث: «**لا تكتبوا عنّي شيئاً إلاّ القرآن، فمن كتب عنّي شيئاً غير القرآن فليمحه**»[1]، في حين ورد عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول اللهﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كلّ شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلّم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقّ[2].
- نسب إلى النبيﷺ في مجال تحمّله أعباء الدّعوة أنّه قال -بعد أن أوذي في الطائف، وقول جبريل له: إنْ شئت أطبقت عليهم الأخشبين-: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً[3]. في حين نسب إليه الرّواة لمّا أوذي في الحرم من صناديد قريش أنّه قال: «**أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**»[4].
- نسبت للنبيّ ﷺ أحاديث، في مجال التعامل مع غير المسلمين، تتضمّن شحناً من العنف والتشفّي لا تتناسب مع قيم الإسلام النبيلة؛ مثل ما أورده مسلم: سئل النبيّ عن الذراري من المشركين، يبيتون؛ فيصيبون من نسائهم وذراريهم. قال: هم من آبائهم[5]. ونُسِبَ إليه ﷺ -أيضاً- حديثاً- وهو الأثبت يتضمّن قيماً إنسانيّة

(1) ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد، لا.ط، بيروت، دار صادر، لا.ت، ج3، ص21.
(2) السجستاني، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داوود، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط1، بيروت، دار الفكر، 1410هـ.ق/ 1990م، ج2، باب3 من أبواب كتاب العلم، ح3646، ص176.
(3) النيسابوري، مسلم: صحيح مسلم، لا.ط، بيروت، دار الفكر، لا.ت، ج5، ص181.
(4) ابن حنبل، مسند أحمد، م.س، ج2، ص218.
(5) النيسابوري، صحيح مسلم، م.س، ج5، ص144-145.

رفيعة: «**انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضمّوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا؛ إنّ الله يحب المحسنين**»(1).

- نسب للنبي ﷺ حديثاً يحثّ على طاعة أولي الأمر كيفما كانوا: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»(2)، وفي الوقت ذاته نسب إليه ﷺ حديثاً يحثّ على التصدّي للظَلَمة: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»(3).
- نسبت للنبيّ ﷺ مجموعة من الأحاديث المهينة للمرأة؛ مثل: خرج رسول الله ﷺ في أضحى - أو في فطر - إلى المصلّى، فمرّ على نساء، فقال: يا معشر النّساء، تصدقن، فإنّي أريتكنّ أكثر أهل النّار. فقلن: وبمَ يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها»(4)؛ و«**إنّ المرأة تُقبِل في صورة شيطان، وتُدبِر في صورة شيطان؛ فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته؛ فليأت أهله يرد ما في نفسه**»؛ و«**يقطع الصّلاة المرأة والحمار والكلب**». وفي الآن ذاته تنسب إليه ﷺ أحاديث تكرِم المرأة أيّما إكرام- وهي الأصحّ؛ مثل: «**رويدك يا أنجشة، رفقاً بالقوارير**»(5)؛ و«**إنّما النساء شقائق**

---

(1) السجستاني، سنن أبي داوود، م.س، ج1، باب90 من أبواب كتاب الجهاد، ح2614، ص588-589.

(2) النيسابوري، صحيح مسلم، م.س، ج6، ص20.

(3) السجستاني، سنن أبي داوود، م.س، ج2، باب25 من أبواب كتاب الملاحم، ح4344، ص325.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، لا.ط، بيروت، دار الفكر، 1401هـ.ق/ 1981م، ج1، ص78.

(5) ابن عبد البرّ، يوسف بن عبدالله: الاستيعاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، بيروت، دار الجيل، 1412هـ.ق/ 1992م،

**الرجال»**[1]، و **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي. ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم»**[2].

- نسب إلى النبيّ في باب الصلاة: **«مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصّلاة وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سنينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**[3]؛ بينما جاء في كتاب الكافي للكليني في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[4]؛ الرّواية الآتية: عن جعفر الصادق عليه السلام: **«لمّا نزلت هذه الآية، جلس رجل من المسلمين يبكي؛ وقال: أنا عجزت عن نفسي كلّفت أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك»**[5]؛ ممّا يفهم منه أنّه لا ضرب للأطفال و إكراههم على الصّلاة.

## ثانياً: مشكلة مخالفة بعض الأحاديث مع القرآن:

يحوي التراث الحديثي مجموعة من الأحاديث التي قد تبدو مخالفة مع ما ورد في القرآن الكريم؛ ومنها:

- نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله حديثاً مفاده: أنّ الله- تنزّه عن ذلك- فوق سبع سماوات جالس على كرسيّ تحمله أوعال: كنّا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله بالبطحاء، فمرّت سحابة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتدرون ما هذا؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: السحاب. فقلنا: ما السّحاب؟ فقال: المزن. فقلنا: وما المزن؟ فقال: العنان، ثم سكت، ثم قال: أتدرون كم بين السماء والأرض؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: بينهما مسيرة

(1) السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير، ط1، بيروت، دار الفكر، 1401هـ.ق/1981م، ج1، ص391.
(2) م.ن، ص632.
(3) السجستاني، سنن أبي داوود، م.س، ج1، باب26 من أبواب كتاب الصلاة، ح495، ص119.
(4) سورة التحريم: الآية 6
(5) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، ج5، كتاب الجهاد، باب (بدون عنوان)، ح1، ص62.

خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى السّماء التي تليها مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كلّ سماء مسيرة خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهم وأظلافهم كما بين السّماء والأرض، والله فوق ذلك ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء»[1]؛ في حين أنّ القرآن الكريم ينفي هذه الصورة تماماً بقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾[2].

- نسب إلى النبيّ ﷺ في باب عذاب القبر، مجموعة من الأحاديث التّي تؤسّس لثقافة الرّعب وتفضي إلى صياغة نفوس مسلمة متهالكة غايتها في الدّنيا تفادي لدغات الثعابين والعقارب في حفرة القبر[3]، في حين أنّ العذاب المادّيّ (ولا نقول النفسيّ) ينفيه القرآن الكريم؛ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[4].
- نسب للنبي ﷺ في باب الوصيّة حديثاً شهيراً ينهى عن الوصيّة: «**إنّ الله أعطى كلّ ذي حقّ حقّه فلا وصيّة لوارث**»[5]، في حين أنّ القرآن أقرّ الوصيّة في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[6].
- نسب للنبيّ ﷺ حديثاً يحطّ من قدر اليهود و النصارى، ويرفع من دون موجب من قدر المسلمين بغير موجب؛ ومفاده: أنّ الله يضع عن المسلمين ذنوبهم ويكيلها على اليهود والنصارى: «**ناس من المسلمين بذنوب**

(1) النيسابوري، أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، لا.ط، بيروت، دار المعرفة، لا.ت، ج2، ص288.
(2) سورة البقرة، الآية255.
(3) انظر: ابن حنبل، مسند أحمد، ج3، ص114؛ ج6، ص152؛ النيسابوري، صحيح مسلم، م.س، ج2، ص92؛ ج8، ص161؛ البخاري، صحيح البخاري، م.س، ج2، ص92؛ ج7، ص159؛ الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط2، بيروت، دار الفكر، 1403هـ.ق/ 1983م، ج4، ص55؛ النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، م.س، ج1، ص38؛ السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، لا.ط، بيروت، دار المعرفة، لا.ت، ج4، ص80.
(4) سورة إبراهيم، الآية42.
(5) ابن حنبل، مسند أحمد، م.س، ج5، ص267.
(6) سورة البقرة، الآية180.

**أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى»**[1].

في حين ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2].

- نسب للنبيﷺ في باب معاملة غير المسلمين المسالمين حديثاً في صحيح مسلم وغيره؛ مفاده: «**لا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بالسَّلام، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِه**»[3]، وحديثاً آخر أورده البخاري عن أبي هريرة: «**كنتم خير أمّة أخرجت للناس .قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام**»[4]؛ في حين ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[5].

- نسب للنبي ﷺ في باب التطيّر حديثاً؛ مفاده: أن لا طيرة؛ إلا في ثلاث: «**إنّما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والمرأة والدار**»[6]. في حين ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[7]، وورد في حديث آخر: «**يدخل الجنّة من أمّتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيّرون وعلى ربّهم يتوكّلون**».

- نسب للنبيّ ﷺ حديثاً مشهوراً؛ مفاده: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده ؛فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان**»[8]؛ في حين ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[9].

(1) النيسابوري، صحيح مسلم، م.س، ج8، ص105.
(2) سورة الأنعام، الآية164.
(3) النووي، محي الدين: المجموع، لا.ط، بيروت، دار الفكر، لا.ت، ج19، ص413.
(4) البخاري، صحيح البخاري، م.س، ج5، ص170.
(5) سورة النحل، الآية125.
(6) البخاري، صحيح البخاري، م.س، ج3، ص217.
(7) سورة الإسراء، الآية13.
(8) النيسابوري، صحيح مسلم، م.س، ج1، ص50.
(9) سورة النحل، الآية125.

## ثالثاً: مشكلة سوء الفهم والتّأويل:

أدّى سوء الفهم والتأويل الخاطئ لبعض الأحاديث من قِبَل البعض، ولا سيّما الجماعات الإسلاميّة إلى تأسيس سلوك عدوانيّ تجاه البشريّة جمعاء؛ مثلما تفعله (داعش، وجبهة النصرة، وبوكو حرام، وأنصار الشريعة...) حالياً في مجتمعنا العربيّ والإسلاميّ؛ ومن نماذج سوء الفهم والتأويل:

- ما حدث مع الحديث النبويّ الشهير: «**أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصّلاة، ويؤتوا الزّكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم؛ إلا بحقّ الإسلام وحسابهم على الله**»(1). والذي فهمه هؤلاء أنّ عليهم قتال النّاس جميعاً!!! في حين أنّ مصطلح النّاس الوارد في الحديث يفيد فئة بعينها وليس كلّ البشر. فلقد جاء مصطلح النّاس في القرآن الكريم بمعنيين؛ الأوّل: معناً عامّاً؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾(2)، الثاني: بمعنى طائفة أو فئة معلومة؛ كما في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ**﴾(3)؛ إذ لا يعلم عند نزول الآية الكريمة أنّ جميع سكّان الكرة الأرضيّة تألّبوا على المسلمين!!!
- من النماذج الصّارخة -أيضاً- ما كتبه النبيّ ﷺ للملوك؛ داعياً إيّاهم إلى الإسلام: «**أسلم؛ تسلم، يؤتك الله أجرك مرّتين**»(4)؛ فالذي فهمه جلّ المسلمين؛ بمعنى إنْ لم تُسلم لا تَسلم من السّيف، في حين أنّ المراد منه أنّ مَنْ يقبل بالإسلام يَسلم من عذاب الآخرة ويؤته الله أجرين؛ أجر إسلامه، وأجر قومه؛ لأنّ النّاس كانوا على دين ملوكهم.

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، م.س، ج1، ص11-12.
(2) سورة الناس، الآية1.
(3) سورة آل عمران، الآية173.
(4) ابن حنبل، مسند أحمد، م.س، ج1، ص263؛ البخاري، صحيح البخاري، م.س، ج1، ص6؛ النيسابوري، صحيح مسلم، م.س، ج5، ص165.

- ومن النماذج -أيضاً- الحديث المروي عن عائشة: «**إذا التقى الختانان؛ وجب الغسل**»[1]؛ الذي استخلص منه غير قليل من الفقهاء وجوب ختان المرأة، مع أنّ هذا خطأ شنيع؛ لأنّ العرب قديماً كانوا يسمّون النقيضين بالأشهر؛ كقولهم القمران للشمس والقمر، والأسودان بالنسبة للحليب والتّمر. فضلاً عن ذلك أنّ السنّة العمليّة تفنّد القول بختان المرأة؛ إذ لا يعلم يقيناً أنّ النبيّ ﷺ أمر بختان النساء أو أقرّ ذلك.
- ومن نماذج سوء الفهم والتأويل؛ ما حدث لحديث مسلم: «**من رأى منكم منكراً؛ فليغيّره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان**»[2]؛ الذي يفهمه الكثير أنّ التغيير باليد مقدّم على التغيير بالكلمة الطيّبة؛ بينما المراد من الحديث ليس الحثّ على تعنيف أصحاب المنكرات، وإنّما إماطة أذى يكون خطراً على الناس؛ كشخص وجد شوكاً أو حجراً بالطريق؛ فهو مطالب برفعه أوّلاً؛ فإنْ لم يقدر لسبب ما؛ يأمر بالمعروف أحداً آخر برفعه، فإنْ لم يتح له ذلك يستنكر في قلبه ويمضي في حال سبيله. ولو كان القصد من الحديث السّلطنة على النّاس والعنف؛ لتناقض ذاك مع حديث آخر: «**المسلم؛ من سلم النّاس من يده ولسانه**»[3]، ومع قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[4].

## رابعاً: مشروع تنقية التراث-الضوابط والآليّات-:

لا يوجد أحد من العقلاء بوسعه إنكار التراث الحديثيّ برمّته، والاستناد فحسب إلى القرآن؛ مثلما يقول مَنْ يُسمّون أنفسهم أهل القرآن؛

(1) الترمذي، سنن الترمذي، م.س، ج1، ص72.
(2) النيسابوري، صحيح مسلم، م.س، ج1، ص50.
(3) ابن حنبل، مسند أحمد، م.س، ج2، ص163.
(4) سورة النحل، الآية125.

بدعوى أنّ الحديث بدأ تدوينه مائة وخمسين عاماً بعد وفاة النبيّ ﷺ، أو أنّ النبيّ ﷺ نهى عن تدوينه، أو بدعوى أنّها متضاربة في ما بينها أو متعارضة مع القرآن؛ ذلك أنّ الله أكسب النبيّ ﷺ سلطة الأمر والنّهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]؛ مثلما أكسبه -أيضاً- سلطة التّحريم؛ كما ورد تأكيده في سورة التوبة: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[2].

ولو كانت مهمّته مقصورة على إيصال الوحي القرآنيّ فحسب؛ لما وصلتنا على -سبيل المثال- تفاصيل الصلاة، والزكاة، والحجّ، وغيرها، لكنّ المسألة التي يتوجّب الانكباب عليها بجدّيّة؛ هي كيفيّة الوصول إلى تراث حديثيّ نقيّ يقطع مع انحرافات الماضي ويكون منطلقاً لإسلام محمّديّ أصيل؟ واعتقادنا أنّ ذلك لن يتحقّق إلاّ:

- بجمع كلّ الفرق الإسلاميّة حول مائدة واحدة، والتوافق في ما بينها على ردّ أيّ حديث يخالف القرآن الكريم؛ مصداقاً لما ورد من أحاديث عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؛ منها:
  - عن النبي ﷺ أنّه قال: «**يا أيها الناس ما جائكم عنّي يوافق القرآن فأنا قلته، وما جائكم عنّي لا يوافق القرآن فلم أقله**»[3].
  - عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه، إنّ على كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه**»[4].

(1) سورة الحشر، الآية7.
(2) سورة التوبة، الآية29.
(3) العياشي، ابن مسعود: تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، لا.ط، طهران، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، لا.ت، ج1، باب ترك الرواية التي بخلاف القرآن، ح1، ص8.
(4) م.ن، ح2.

- عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**كلّ شيء، مردود إلى الكتاب والسنّة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف**»[1].
- وعنه عليه السلام -أيضاً-: «**لا تُصدِّق علينا؛ إلاّ ما وافق كتاب الله وسنّة نبيّه**»[2].

وهنا ينبغي الإشارة أنّ المقصود بـ (سنّة نبيّه) في الحديث السّالف هي السنّة العمليّة، وليست السنّة القوليّة التي تحتمل الصحّة والبطلان؛ ذلك أنّ مفهوم السنّة بذاته تطوّر عبر الأزمنة، فمن معنى فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى فعله وقوله وإقراره. وينبغي اقتناع كلّ الفرق الإسلاميّة أنّ الغاية من ذلك ليس إعلاء مذهب على آخر؛ إنّما هو إعلاء كلمة الإسلام.

- الارتكاز إلى كلّ مدّونات الحديث المعتبرة، ولا سيّما عند السنّة و الشيعة لأنّه لا يخلو كتاب حديث؛ مهما كان مصدره من إخلالات ومثالب، فكلّ شيء عدا القرآن الكريم يحتمل الصواب والخطأ.
- غياب نصّ قرآنيّ صريح؛ تجمع الأحاديث في المسألة الواحدة، فإنْ تعارضت فيما بينها؛ يرجّح ما تقرّه الفطرة السّليمة والعقل، ويردّ الباقي.
- إنْ كانت الأحاديث متوافقة ولا تعارض فيما بينها، لكنّها تصدم الفطرة السّليمة؛ يُنظر في تاريخيّتها أو تُتأوّل تأويلاً يكون متّفقاً مع الفطرة السّليمة التي فطر النّاس عليها؛ مثلما هو الشأن مع مسألة ختان البنات أو إرضاع الكبير؛ لأنّ أحكام الدين وتشريعاته وتعاليمه موافقة لمقتضى الفطرة السليمة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].



(1) العياشي، ابن مسعود: تفسير العياشي، م.س، ج1، باب ترك الرواية التي بخلاف القرآن، ح4، ص9.
(2) م.ن، ح6.
(3) سورة الروم، الآية30.